

الندم العالمي على الهولوكوست

بهاء العوام
صحافي سوري

يدهشك تسابق عشرات الرؤساء والملوك والأمراء من قادة الغرب لحضور المنتدى الخامس للهولوكوست في إسرائيل. حجوا جميعهم إلى القدس الغربية ليعبروا عن حزنهم وندمهم عما فعله النازيون باليهود إبان الحرب العالمية الثانية. وكان إبداء الأسف إزاء ما حدث في أوروبا قبل نحو ثمانين عاما، يمحو الخطايا ويمنح صكوك الغفران ويثبت الولاء للإنسانية، وقبل كل هذا بقي من تهمة معاداة السامية التي يخشاها ساسة الغرب أكثر من أي ذنب أو جرم أو خطيئة.

ندم الغرب على الهولوكوست يشبه ندم الشيعة على يوم عاشوراء. في الحالتين ثمة محاولة مستمرة من النادمين للتكفير عن ذنبهم الذي تتوارثه الأجيال، وتزداد وطأته مع مرور السنين بدلا من أن تنقص. لا دخل للذين جاؤوا بعد الحادثين في ما جرى عام واحد وستين للهجرة، أو في أربعينات القرن الماضي. وعلى الرغم من ذلك يحمل اللاحقون وزر ما فعله السابقون، ويواصلون الاعتذار عن الجريمتين ومعاينة ذواتهم على ما اقترفته غيرهم وستبقى تداعياته مستمرة إلى الأبد.

لا تحلل هذه المقاربة أي بعد ديني ولا إسقاط تاريخي. المشترك بين الحالتين هو فقط الندم المستمر على فعل ماضٍ، أما المختلف بينهما فهو أن نعمة الشيعة تقع على أنفسهم، في حين أن نعمة أرباب ذكرى المحرقة تقع على العالم بأسره.

التسبحة يعاقبون أنفسهم على مقتل الحسين بن علي، خفيد الرسول، قبل نحو ألف وأربعمئة عام. أما حراس معبد الهولوكوست فلا يزالون يعاقبون البشرية جمعاء على ما فعله النازيون باليهود في ألمانيا خلال أربعينات القرن الماضي.

لن يكون التطهير العرقي مقبولا في أي زمان ومكان، وما فعله النازيون لليهود لا يمكن تبريره بأي نظرية كانت. تماما كما لا يمكن تبرير مذبحه الأرمن على أيدي العثمانيين، وعنصرية ميانمار للروهينغا، وقمع الصينيين لاقليّة الأويغور، وجرائم داعش بحق الإيزيديين في العراق. كل هذا إرهاب يجب أن يخاسب المذنبون فيه، ويجب إحياء ذكرى ضحاياه سنويا، ولكن ليس من باب الانتقام المستمر لهم، وإنما على سبيل رفض هذا الإرهاب.

لقد تحولت ذكرى الهولوكوست إلى آلية انتقام غير منته لضحايا المحرقة النازية. آلية تبقى الكوكب نادما على ما فعله النازيون وساعيا للتكفير عن ذنبه إلى الأبد. جمع جرائم الإبادة التي عرفها التاريخ تحملت وزرها الدول التي نفذتها. إلا جرائم الهولوكوست تحمّلها العالم بأسره. إبادة اليهود في المحرقة هي وحدها التي سجلت على

البشرية جمعاء، ويتحمل مسؤوليتها كل من ولد بعد الحرب العالمية الثانية. كل مولود بعد تلك الحرب يأتي للعالم مثقلا بالندم على تلك الإبادة. الواقعية الوحيدة في تحول مظلومية اليهود إلى محكمة عالمية سياسية وقانونية ومالية وحتى أخلاقية، يمكن ذكرها في سياق سؤالين رئيسيين: هل كان اليهود ليحصلوا على دولة مثل إسرائيل لولا تحول الهولوكوست إلى لعنة لا يبطل مفعولها؟ هل كان لأقلية مثل اليهود، يقارب تعداد أفرادها في كل الكوكب خمسة عشر مليوناً، أن تتمتع بكل هذا النفوذ العالمي لولا حراس الهولوكوست، وفرسان معاداة السامية الذين يشبهون سيوفهم في وجه كل من يقترب من اليهود؟

ما فعله النازيون لليهود لا يمكن تبريره بأي نظرية كانت. تماما كما لا يمكن تبرير مذبحه الأرمن على أيدي العثمانيين، وعنصرية الإسرائيليين تجاه الفلسطينيين وجرائم داعش بحق الإيزيديين في العراق

بدأ تكفير العالم عن ذنب النازيين بوعد بظهور البريطاني وإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وهاهو الندم على الهولوكوست يتواصل كل يوم ويتجلى بدعم إسرائيل بالمال وال السلاح والمواقف السياسية، وبإصدار تشريعات وقوانين تمنع التعرض لليهود في العالم بأي شكل كان. لأجل هذا يتطور تعريف تهمة معاداة السامية كل بضع سنوات، وقد باتت هذه التهمة اليوم تخيف ساسة الغرب ومثقفيه وصحافيه أكثر مما تخيفهم أكبر الفصائح المالية أو الأخلاقية أو المهنية.

رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو قال في المنتدى الخامس لذكرى الهولوكوست إن الشعب اليهودي تعلم دروسا من المحرقة النازية، وفي مقدمتها الاعتماد على النفس في مواجهة الخصوم. لا يرى نتنياهو ما فعله ويفعله العالم لليهود كافيا حتى اللحظة. وقف يطلب المزيد ويقول إن اليهود لا يزالون يخشون عودة التاريخ وتكرار الهولوكوست. الحضور النادم على المحرقة طبعاً أصغى جيدا لنتنياهو، وقبل أن تطفأ أضواء قاعات المنتدى في القدس الغربية أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن ولادة خطته للسلام الفلسطيني الإسرائيلي خلال أيام. فماذا سيحمل يا ترى الاعتذار العالمي الجديد لليهود عن الهولوكوست؟



روسيا البوتينية وآفاق ما بعد 2024

له مع تعزيز صلاحياته. ولهذا التفسير علاقة باتهام المعارضين للرئيس الروسي بأن هاجسه ليس استمرارية الحكم واستقرار البلاد في المقام الأول، بل "هوسه باستمرار إسناكه السلطة ورقابته عليها".

وحسب بعض الأخبار المتداولة يمكن وراء اقتراحات بوتين في خطاب 15 يناير، رفض الكسندر لوكاشينكو رئيس روسيا البيضاء لفكرة اتحاد مع روسيا يذكر بالاتحاد السوفيتي ويرأسه فلاديمير بوتين. إنها إذن "ثورة من فوق" للحفاظ على الحكم المركزي القوي في بلاد القيصرية والإمبراطورية. وهذا ما يطلق عليه بوتين "روسيا القوية" مما يضع حدا آمال الذين راهنوا على تطور ديمقراطي وتعزيز صلاحيات البرلمان بعد 2024.

في سرعة قياسية حيث تهيمن الأحزاب الموالية للسلطة، بدأ النواب في الدوما بدراسة التعديلات ومن المتوقع أن يقرها سريعا. ثم ستطرح النصوص على الروس للاستفتاء، بدءا من فصل الربيع على الأرجح. وتشير أوساط معارضة إلى أن السلطة ستتمتع الاعتراض والتظاهر الواسع كما حصل عندما نجحت المعارضة خلال الصيف الماضي في دفع الألاف نحو التظاهر مع اقتراب الانتخابات المحلية في موسكو.

وبالفعل على مدى 20 عاما في السلطة، نجح فلاديمير بوتين إلى حد واسع في تحييد المعارضة عن اللعبة الاستراتيجية. بعد ستة أيام من الاستقالة المفاجئة لسلفه ديمتري ميدفيديف، كشف رئيس الوزراء الروسي الجديد ميخائيل ميشوستين عن تشكيل حكومته مع إدخال تغييرات على تسع حقائب وزارية التي يبلغ عددها 21، وهو رقم كبير نسبيا بالنسبة لروسيا.

ولكن بالتفصيل، يتم توزيع المغادرين بشكل غير متكافئ للغاية بين الكتل المختلفة التي حدها مراقبو الحياة السياسية الروسية. وتهتم بشكل حصري تقريبا بوزارات من "الكتلتين الاجتماعية والاقتصادية": الثقافة والتعليم والصحة والتنمية الاقتصادية. لكن البارز احتفاظ الأوزان الثقيلة بمراكزهم أي سيرجي لافروف، في منصب وزير الخارجية (مستمر فيه منذ 2004)، وسيرجي شويغو بحقيبة الدفاع، وفلاديمير كولوكولتسيف بوزارة الداخلية.

لم يحمل هذا التعديل أي مفاجأة واللائق التركيز على الاقتصاد مع رئيس الحكومة مهندس السياسات الضريبية، يعاونه ستة نواب لرئيس الوزراء، يرى فيهم بعض المراقبين أسماء مرشحة للعب دور في خلافة بوتين حيث تبقى الاحتمالات مفتوحة مع النقص في الشفافية وإحكام السيطرة على اللعبة السياسية. خلال الحقبة القادمة سيكون السؤال الرئيس عن استمرار صعود نجم فلاديمير بوتين أو تبيان عدم قدرة البوتينية على الديمومة وترك بصمة كبيرة على تاريخ روسيا.

شبه جزيرة القرم وشرق المتوسط وليبيا، بالإضافة إلى الاتهام في سياق التسليح والتعاون مع الصين، تمكنت روسيا من التربع في الثلاثون القيادي (مع الولايات المتحدة والصين) في إعادة تشكيل النظام الدولي. وعلى عكس الترامبية التي تخفف من الالتزامات الخارجية لواشنطن، اندفعت البوتينية لتوسيع النفوذ الروسي في الخارج من أجل التعويض عن الضعف الاقتصادي في الداخل.

من خلال مراقبة دقيقة لحصاه خلال عقدين من الزمن على رأس روسيا، يعي الرئيس فلاديمير بوتين أن الإنجازات التي حققها مهددة خارجيا وداخليا، ولذا نراه حذرا في خوض غمار سباق التسليح لأنه يخشى من انعكاسات الإنفاق العسكري الهائل والكلفة الاقتصادية للعمليات الخارجية، خاصة إنه ابن الحقبة السوفيتية التي عانت مليا من هذا الخلل.

ومن هنا تأتي المبادرة لطلب عقد قمة "الأمن العالمي" في السنة الانتخابية الأميركية نظرا لتعطل الحوار الثنائي مع واشنطن بالرغم من العلاقة الودية مع الرئيس دونالد ترامب، وتبعاً لرفض الصين المشاركة في مباحثات حول تقليص الأسلحة الاستراتيجية وإنقاذ المعاهدات المبرمة بين واشنطن وموسكو في هذا المضمار. لكن الأهم في جهد بوتين يبرز في بلورة مباحثة استراتيجية في تحصيل البيت الداخلي قبل أربع سنوات من انتهاء ولايته الرئاسية. في خطابه السنوي أمام الدوما (البرلمان الروسي) فاجأ بوتين الموالين قبل المعارضين، كما المراقبين الخارجيين بتقديم رزمة إصلاحات دستورية تكرر تقاسما جديدا للسلطات في قمة الاتحاد الروسي وذلك عند نهاية ولايته الرابعة والأخيرة. هكذا أطلق فلاديمير بوتين (67 سنة) المسار الانتقالي المنتظر بعد فترة حكم طويلة تجاوزت عدد سنوات ستالين، ومن الطبيعي أن يستخلص سيد الكرملين دروس السنوات الصعبة بين أندريوف وغورباتشوف ويحاول أن يجنب روسيا مشكلة في الانتقال والاستمرارية، وذلك من خلال اقتراح انتخاب رئيس الوزراء من البرلمان بدل تعيينه من الرئيس.

إلى جانب ذلك، يتم تعيين مجلس دولة يشبه المكتب السياسي أيام الحزب الشيوعي. والأرجح أنه من أجل تقادي الصراعات بين الجناح الليبرالي والجناح الأمني مستقبلا، ربما يريد بوتين لعب دور "القيصر المرشد" والمشرّف على السلطات رمزياً أو عمليا عبر قناة مجلس الدولة والمجلس الأمني الذي عين رئيس وزرائه المخلص الدائم ميدفيديف نائبا

من خلال مراقبة دقيقة لحصاه خلال عقدين من الزمن على رأس روسيا، يعي الرئيس فلاديمير بوتين أن الإنجازات التي حققها مهددة خارجيا وداخليا، ولذا نراه حذرا في خوض غمار سباق التسليح لأنه يخشى من انعكاسات الإنفاق العسكري الهائل والكلفة الاقتصادية للعمليات الخارجية

ومن هنا تأتي المبادرة لطلب عقد قمة "الأمن العالمي" في السنة الانتخابية الأميركية نظرا لتعطل الحوار الثنائي مع واشنطن بالرغم من العلاقة الودية مع الرئيس دونالد ترامب، وتبعاً لرفض الصين المشاركة في مباحثات حول تقليص الأسلحة الاستراتيجية وإنقاذ المعاهدات المبرمة بين واشنطن وموسكو في هذا المضمار. لكن الأهم في جهد بوتين يبرز في بلورة مباحثة استراتيجية في تحصيل البيت الداخلي قبل أربع سنوات من انتهاء ولايته الرئاسية. في خطابه السنوي أمام الدوما (البرلمان الروسي) فاجأ بوتين الموالين قبل المعارضين، كما المراقبين الخارجيين بتقديم رزمة إصلاحات دستورية تكرر تقاسما جديدا للسلطات في قمة الاتحاد الروسي وذلك عند نهاية ولايته الرابعة والأخيرة. هكذا أطلق فلاديمير بوتين (67 سنة) المسار الانتقالي المنتظر بعد فترة حكم طويلة تجاوزت عدد سنوات ستالين، ومن الطبيعي أن يستخلص سيد الكرملين دروس السنوات الصعبة بين أندريوف وغورباتشوف ويحاول أن يجنب روسيا مشكلة في الانتقال والاستمرارية، وذلك من خلال اقتراح انتخاب رئيس الوزراء من البرلمان بدل تعيينه من الرئيس.

إلى جانب ذلك، يتم تعيين مجلس دولة يشبه المكتب السياسي أيام الحزب الشيوعي. والأرجح أنه من أجل تقادي الصراعات بين الجناح الليبرالي والجناح الأمني مستقبلا، ربما يريد بوتين لعب دور "القيصر المرشد" والمشرّف على السلطات رمزياً أو عمليا عبر قناة مجلس الدولة والمجلس الأمني الذي عين رئيس وزرائه المخلص الدائم ميدفيديف نائبا

إلى جانب ذلك، يتم تعيين مجلس دولة يشبه المكتب السياسي أيام الحزب الشيوعي. والأرجح أنه من أجل تقادي الصراعات بين الجناح الليبرالي والجناح الأمني مستقبلا، ربما يريد بوتين لعب دور "القيصر المرشد" والمشرّف على السلطات رمزياً أو عمليا عبر قناة مجلس الدولة والمجلس الأمني الذي عين رئيس وزرائه المخلص الدائم ميدفيديف نائبا

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية - باريس

يخطف الرئيس فلاديمير بوتين الأضواء ويبدو شاغلا للناس في بلاده والعالم، إنه لا يكمل ولا يمل ولا ينفك عن التحرك في الداخل والخارج. تبوأ الصدارة بين أربوعين رئيس دولة وحكومة شاركوا إسرائيل في "المنتدى العالمي للهولوكوست (المحرقة النازية)". واقترح عقد قمة خماسية عن "الأمن العالمي" مع زعماء كل من الولايات المتحدة والصين وبريطانيا وفرنسا، الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي، خلال العام 2020 لمناقشة سبل "حماية السلام وحفظ الحضارة". وقبل ذلك كانت له زيارات لافتة لكل برلين حول ليبيا.

تزامن ذلك مع توضيح لاستراتيجية الحكم في روسيا بعد انتهاء ولاية بوتين في 2024، من خلال اعتماد إصلاحات وتغييرات لمنع تكرار أخطاء الحقبة السوفيتية. بيد أن هذا النشاط الغرط لإبراز دور روسيا وفعاليتها، لا يمكنه أن يخفي نقاط الضعف البنيوية ومخاطر الاندفاع على الساحات الخارجية.

لذلك يتركز هم "القيصر الجديد" على تحسين البيت الداخلي ويخطط لديمومة نهج البوتينية بالرغم من الشكوك المحيطة بهذا الرهان ربطا بالتحويلات الاجتماعية والديموقراطية واحتمالات احتدام "الفضوى الاستراتيجية" في العالم.

ابتمت الألفية الثالثة منذ بداياتها فلاديمير بوتين الذي أنهى دخوله الكرملين مرحلة السبات الروسي في عهد بورييس يلتسين.

لم تكن المهمة سهلة أمام رجل الاستخبارات السابق لتصبح ما اعتبره "الخطأ الجيوسياسي الأكبر في القرن العشرين" (نهاية الاتحاد السوفيتي)، وانبرى بحارب مختالا على كل الجبهات مستنهضا الإجماع الغابرة مع جميع عناصر القوة والمناورة على طريقة ممارسته الفروسية ولعبتي الجودو والهوكي.

لكن فلاديمير بوتين المتحفظ والحاسم في أن معا، لم يلبثت الألفاس ولم يدع أي فرصة ليبدأ مسار إنقاذ روسيا واستعادة دورها العالمي. في العقد الأول من هذا القرن منذ حرب الشيشان إلى الصراع مع جورجيا في العام 2008، تمكنت موسكو من استرداد مكانتها تدريجيا. وفي العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين انطلاقا من الساحة السورية إلى

إلى جانب ذلك، يتم تعيين مجلس دولة يشبه المكتب السياسي أيام الحزب الشيوعي. والأرجح أنه من أجل تقادي الصراعات بين الجناح الليبرالي والجناح الأمني مستقبلا، ربما يريد بوتين لعب دور "القيصر المرشد" والمشرّف على السلطات رمزياً أو عمليا عبر قناة مجلس الدولة والمجلس الأمني الذي عين رئيس وزرائه المخلص الدائم ميدفيديف نائبا